طبخـة

عندما لعبت في الحارة مع أصحابي (السبع حجار) بتلك الطابة المصنوعة من قطع القماش البالية، والتي عادة ما كانت النّساء يجمعنها ليحشين بها المخدات، كان بعضنا يخطف بعضا من هذه الأقمشة لنصنع منه كراتنا الخاصة.

لم أكن أتوقع أن الوقت يمرّ بسرعة الصوت، حتى أنني لم أكن أعرف أن للصوت سرعة، ولم أكن أعرف شيئاً عن السّرعة إلا من خلال صياح قاهر وهو يهرب من أبيه بسرعة فائقة؛ فقد كسر صحن الطعام الذي سكبته أمه، لأنه لم يعجبه، فطبيخ العدس صار عدواً لدوداً له، وصار يصيح وهو يهرب: الله اكبر، هو كل يوم عدس، عدس؟!!

بدأت السماء تزمجر، والمطر يهطل، وبيتنا على أطراف القرية، رآني العم أبو قاهر من شباك سقيفته وناداني: تعال يا ولد هلقيت ابتنقع وتشنّج من السّقعة. ذهبت إليه ودخلت سقيفته التي لم أكن أرى أمامي أي شيئ، ولامبة الكاز نمرة ٦ التي توجد في الزاوية لا تنير لأحد، فضوءها باهتٌ وزجاجتها معتمة، والدخان قد ملأ السقيفة.

جلست على (جنبية) خشنة أمام كانون النّار، الذي يتحلّق حوله أطفال أبي قاهر، حتى تلك القطّة البيضاء، كانت تجلس تحته، تنتظر دوراها في العشاء، وبدأت الحرارة تعود إلى جسدي رويدا، وكلما هممت المغادرة قال العم أبو قاهر: استنى خالتك أم قاهر، هيها الطبخة على الموقدي، تتعشى وبتقصد، وبكون المطر خفّ.

لم أتردد في البقاء لحظة واحدة، وخاصة أني لم أتناول طعاماً منذ الصباح، إلا قطعة خبز مدهونة بالزّيت والزّعتر. وها هو الوقت أوشك على المغيب، وكلمة طبخة فتحت شهيتي كثيراً. لم يمض الوقت سريعاً، العم يحدّثني عن الزير سالم، وأنا أفكر في الطبخة التي تهدر على الموقد، قلت في نفسي: ستتزفر يا ولد.

وأخيراً أتى الفرج وحضر الطعام، وقال: يلا يا عمي، اضرب من هالفتيت الزاكي .

خاب أملي، ولكن جوعي الشّديد، والبصل الذي حطمه العم براحة يده، والليمون الأصفر والزيتون الأخضر، ورأس الفجل، جعل العشاء شهياً.

قلت : الله يسامحه قاهر، هو ليش مش معجبو فتيت العدس، والله انه زاكي؟!

عدّت إلى البيت فوجدت أهلي ينتظروني للعشاء معا، فهناك في زاوية الغرفة تجثو صنية فتيت عدس أخرى، ولكنها بحجمٍ أكبر...